المحاضرة الخامسة

الله تعالى ، يجد نفسه مدفوعاً إلى التوجه إلى الله تعالى كلما المت به مصيبة او وجد نفسه في ضيق ، فالمريض الراقد في سريره أو في غرفة العمليات ، وراكب الطائرة الذي يخبره قائد ها ان خطراً يواجه الطائرة هؤلاء لا يفكرون في تلك الساعة بشيء ولا يخطر ببالهم شيء سوى الله تعالى ، به يستجيرون واليه يتوجهون . وصدق الله العظيم إذ يقول مخبراً عن المشركين : **« وإذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون »(٣٧) .**

ان مسألة وجود الله من البدهيات التي لا توجد بدهية مثلها في الوضوح والظهور، بل نقول إذا لم تصح هذه المسألة في العقول فلا يمكن مطلقاً أن تصبح مسألة اخرى غيرها ، فليس هناك شيء عليه من الادلة من حيث الكثرة والتنوع مثل مسألة وجود الله تعالى .

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الالوهية

٢٨ – وتوحيد الربوبية ، وافراد الله تعالى بجميع معانيها ، يستلزم قطعاً توحيد الالوهية اي افراد الله بالعبادة وانه وحده هو المعبود الحق الذي لا يستحق غيره ذرة واحدة من العبادة ، ولهذا يذكر القرآن المشركين بربوبية الله وانفراده بها وانها تستلزم توحيده في الالوهية ، وهذا مسلك سديد واضح جلي لا يجوز اغفاله والاستعاضة عنه بمسالك ملتوية غير مجدية ، فمن هذه النصوص القرآنية قوله تعالى **« أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون »(٣٧) « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون »(٣٨) يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »(٣٩) .**

فهذه الآيات تذكر المشركين بحقيقة واضحة وهي ان معبوداتهم من دون الله عاجزة لا تستطيع خلق شيء ولو ذبابة وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستطيعون

---

(٣٧) لقمان /٣٢

(٣٧) الاعراف /١٩١

(٣٨) النمل /١٧

(٣٩) الحج /٧٣

تخليصه منه ، فكيف يجوز في العقل السليم ان يعبد غير الله ويسوى مع الله في العبادة وهو الخالق وحده وما سواه عاجز ضعيف مخلوق ؟.

ويحاجج القرآن المشركين ذاكراً لهم ان ما يعبدونهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا يشاركون الله تعالى في ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وليس لله بمعبوداتهم الباطلة حاجة ولا اي عون ، واذا كان الأمر كذلك كما يرون فيجب عليهم اخلاص العبادة لله تعالى . قال الله تعالى :

« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير »(٤٠) .

والقرآن يقرر بعض الحقائق التي يعترف بها المشركون وهي ان الله هو مالك السماوات والأرض والمتصرف فيها وهو الذي يجير المستجيرين به ، فيجب إذن ان يعبدوا الله دون غيره ، قال تعالى :

« قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فانى تسحرون . بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون »(٤١) .

العلوم الحديثة وعقيدة التوحيد

٢٩ – والعلوم الحديثة المتعلقة بالكون ، وبالذرة او بالإنسان او بالنبات ، وبالصناعات ، والكشوف الحديثة والمخترعات الحديثة ، كل هذه تقوي عقيدة التوحيد وتزيد ايمان المؤمن لانها تكشف عن دقة نظام الكون وعجائب خلق الله ولطائف صنعه الدالة على عظمته وواسع قدرته وعلمه ، فإن دقة المصنوع تدل على عظمة الصانع وان وراء هذه الصنعة البديعة والنظام الدقيق خالق عظيم ، وصدق الله العظيم إذ يقول **« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق »(٤٢) . « وفي انفسكم افلا تبصرون »(٤٣) .**

---

(٤٠) سبأ /٢٢

(٤١) المؤمنون /٨٥ – ٨٩

(٤٢) فصلت /٥٣

(٤٣) الذاريات /٢١

مكانة التوحيد في الاسلام

٣٠ ـ التوحيد في الاسلام هو كل الاسلام ، والقرآن كله يدور حول التوحيد ، فآيات القرآن إما إخبار عن الله وصفاته وخلقه وافعاله وتدبيره ، وإما امر ونهي وهما من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه ، وإما بيان للثواب بأنواعه ، وهو جزاء من اطاعه واتبع رسله الذين ارسلهم بشريعته القائمة على توحيده في الألوهية والربوبية ، وإما بيان للعقاب بأنواعه وهو جزاء المخالفين لشرعه ، وإما إخبار عن احوال المكذبين الماضين وهو بيان لمن خرج عن مقتضى توحيده وعبادته .

فالتوحيد هو لب الاسلام واساسه ومنه تنبثق سائر نظمه واحكامه واوامره ومناهجه ، وكل ما فيه عبادات واحكام يرسخه ويقويه ويثبته في قلوب المؤمنين .

* * *